مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ISSN : 2353-046
المجلد5 ، العدد10، (جوان 2017) EISSN : 2600-6421

سمات الخطاب عند محمد البشير الإبراهيمي
"قضية فصل الدين عن الدولة " أنموذجا

د. حمودي السعيد
جامعة محمد بوضياف المسيلة

يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله وتبقى معانيهم الحية في الأرض قوة تحرك ورابطة تجمع، ونورا يهدي، وعطرا ينعش، وهذا هو معنى العظمة، وهذا هو كون العظمة خلودا[1].
محمد البشير الإبراهيمي

Résumé :

Mon article vise à étudier la contribution d'une personnalité..très célèbre que ce soit dans l'histoire du Machrek ou du Maghreb, celle du el cheikh el Bachir Elibrahimi, qui a influencé la conscience révolutionnaire algérienne en 20 siècle.

Notre étude sera consacrée à analyser son discours profond, caractérisé par la diversité objective : sociale, politique, culturelle, religieuse en évoquant, beaucoup plus, son rôle réformiste à travers ses écritures, dont l'acquisition de l'indépendance de l'Algérie et l'exposition de l'intention du colonialisme étaient son objectif principal, et dans ce même contexte nous essayons de mettre le doigt sur sa stratégie intellectuelle pour défendre l'identité algérienne vis-à-vis les défis et les risque qui la menacent pendant l'époque coloniale.

ملخص:

نتناول في هذه الدراسة موضوعا في غاية الأهمية يتعلق بشخصية تاريخية ذاع صيتها مغربا ومشرقا، شخصية محمد البشير الإبراهيمي وإسهاماته من خلال معالم الفكر السياسي والاجتماعي وأثره على الفرد والمجتمع في اعتناق الثورة التحريرية، لقد سخر محمد البشير الإبراهيمي فكره ولسانه وقلمه للجهاد في سبيل الجزائر والإسلام والعروبة

قرابة أربعين سنه، وفي ظل هذه الحقبة الممتدة غطى بكتاباته المؤثرة كل الميادين الحساسة ، سياسيا و اجتماعيا ، إصلاحيا وتربويا في وطن عانى من ويلات الثالوث الأسود الخطير (الفقر ، الجهل والمرض) من طرف الاستعمار الفرنسي الذي جاء إلى الجزائر كما تجيء الأمراض الوافدة يحمل الموت وأسباب الموت ، وكان حرصنا في هذا ما أنجزه الفكر السياسي الإصلاحي الشامل للقضية الجزائرية وللوطن العربي والإسلامي عامة ، كان يهدف الكاتب بتلك الإسهامات الشاملة إلى إخراج أمته من حالة الوهن والاستكانة والتردي والانحراف بأشكاله والتي عاثت فرنسا فيه فسادا ، وعملت على تشويهه وتمزيقه محاولة محو مقوماته الأساسية ، وطمس معالمه الحضارية ، كالقضاء على لغته وإبعاده عن دينه، والعمل على تنصير أبنائه تمهيدا لإدماجه ، هذا الواقع المظلم المرير جعل الإبراهيمي يحس بخطورته ويتصدى له بالمواجهة وذلك بدعوته الإصلاحية ، بفكر سياسي ، إيمانا منه بأن الإصلاح السياسي يتطلب العودة إلى منابع السلف الصالح، فينشئ أفكاره ويخاطب الجزائريين والعالم من حوله ، وبهذا فإن كتابات الإبراهيمي وحديثه في هذا المجال والذي استطاع من خلاله أن يؤثر في الوعي الوطني والقومي،كل ذلك شكل مجالا حيويا من مجالات التغيير الحضاري ، حيث عده وسيلة ضرورية للدفاع عن حقوق الشعب الجزائري المهضومة، وتأكيد هويته الوطنية والنهوض بالمجتمع ، فكان له تأثير كبير في مجريات الأحداث الجزائرية خلال المرحلة التاريخية التي عاشها الإبراهيمي ، وكان دافعا قويا لاعتناق الثورة فيما بعد .

فالمقال السياسي في وعي الإبراهيمي احتل الصدارة نظرا لظروف الوطن وتطور الأوضاع وتعقد المشاكل وصراع المصالح بحيث كان صراعا مريرا دار زمنا طويلا بين نزعة صليبيه حاقدة تحمل السيف و الحيف، إذ يرى الإبراهيمي أن الاستعمار استدمار شكلا و مضمونا ظل يكرس كل ما يملكه من وسائل الاستيطان لتصبح الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وهو يعلم أن هذا الأمر لن يتأتى له إلا بطمس كل مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، من لغة وعقيدة وتقاليد راسخة، ومن هنا كان الصراع حادا مريرا وعنيفا في نفس الوقت، بين طغمة ظالمة وشعب أعزل لا يملك وسائل المقاومة ماديا ولا معنويا ،غير أن هذا الصراع انتقل إلى نفوس مؤمنة حملت لواء الدفاع والنضال بالكلمة المؤثرة وبهذا كان أكثر المقالات في هذا المجال يعرض الكاتب من خلالها مدى شراسة الفرنسيين وغطرستهم ، وكل المكائد والحيل هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان يعكس مواقفه الصلبة والصريحة ضد الفرنسيين بكل تحد حتى يخيل للقارئ في ما كتب أنه

كان مقاتلا يقاتل، لا كاتبا يجادل، فيكشف جرائم الاستعمار في حق شعب أعزل، ويفضح أساليبه الدنيئة، ومفارقاته العجيبة بين القول والفعل، كل ذلك من أجل فضحه أمام الرأي العام، ومن أهم المقالات التي احتلت مساحة كبيرة وكانت من كبريات القضايا هي قضية (فصل الدين عن الدولة) والتي من خلالها برهن أنه لا حق لفرنسا من الإشراف على الدين الإسلامي فبأي منطق يخول لها الإشراف على ملة لا تنتمي إليها؟ غير أن القصد من هذا – كما يرى – هو القضاء على الإسلام في الجزائر وتنصيره، وقد نبه في ذلك إلى ما يقوم به دعاة اللائكية من تمويه للأمة، فصب جام غضبه عليهم وعلى أذنابهم الخارجين عن الدين الذين أطعمهم الفرنسيون وسقاهم" حميما وغساقا جزاء وفاقا"[2] وعلى رأس هؤلاء المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيوس) مهندس السياسة الفرنسية في الشؤون الإسلامية، وكان الإبراهيمي يعرف حقيقة مهامه القذرة، وهي شراء ذمم من لا ذمة لهم و يلقبه بلقب (الصندوقجي) و كانت هذه الشخصية تدفن للإبراهيمي حقدا كبيرا وقد قال في حقه:(إن هذا الرجل من ألد أعدائي[3]) لأنه تصدى لمخططاته وكشفها و قد رد عليه الإبراهيمي بقوله: (إن هذا الصنف من المستشرقين وهم الذين سخروا العلم للسياسة، وهم الذين رضوا للعلم بالامتهان، فضعفت بهم الأهواء فأصبحوا مبشرين بالاستعمار...وما كنا نظن أن مستشرقا من هؤلاء يستخفنا برقاه، أو يسترهبنا بسحره لأننا عرفناهم بسحرهم، وعرفناهم بلحن القول، فساء ظننا بهم تبعا لسوء ظننا بالاستعمار الذي جعلهم جوارح لصيده و وسائل لكيده، ما كنا نتوهم ذلك حتى جاء المستشرق صاحب فكرة -فرانس إسلام- وقعقع الشن فخيب الظن)[4].

و بهذه الطريقة استفاض الكاتب في الحديث عن فروع قضية فصل الدين عن الدولة حتى تجاوز فيه الثلاثين مقالة تحت عناوين مختلفة، نحو الدين المظلوم، وخصمان فمن المختصم؟ والقضية ذات الذنب الطويل، وشهد شاهد... وغيرها، طالب في مضامينها وبكل إلحاح وشجاعة بتحرير الأوقاف والمساجد، ورجال الدين، والقضاء، والحج والصوم من هيمنة الاستعمار و التصرف في شؤون عبادة المسلمين، وعن هذا التسليط الإجرامي والاحتكار التعسفي يقول الإبراهيمي: (فلا مسجد إلا ما فتحته، ولا إمام إلا من نصبته، ولا مفتي إلا من حنفته أو ملكته، ولا شيخ طريق إلا من سلكته، ولا حاج إلا من حججته أو نسكته، ولا صائم ولا مفطر إلا على يد لجنتها، ولا هلال إلا ما شوهد برؤية قاضيها)[5] وبذلك شن الإبراهيمي هجوما عنيفا على لجنة الأهلة التي تتكون من مجموعة من القضاة والمفتيين الذين أعدهم الاستعمار لتنفيذ خططه المسطرة

لكيد الإسلام والمسلمين الجزائريين، حيث كانت هذه اللجنة أداة طيعة تم اعتمادها من طرف الاستعمار لانتهاك حرمة رمضان المقدسة، وفي هذا الشأن يصرح قائلا: (و رأت نقصا في سمعتها وعجزا في كرامتها أن تقلب شهر الصوم من قبضتها، واهتبلت الوقت الذي اشتدت فيه مطالبتنا بالأوقاف والمساجد وحرية الحج، فمدت يدها إلى الصوم تعبث فيه بالكيد وتفسده بالحيلة وكأنها تريد أن تلهينا بشيء عن شيء، وكأنها تقول لنا: يا طالبي النهاية ارجعوا إلى البداية، فدبت حركتها إلى صوم رمضان دبيبا خفيا من هذه الثغرة التي أصبحت شرا على المسلمين و وبالا على دينهم في وظيفة الفتوى والقضاة، فكونت من رجالها فيهم لجنه الأهلة فأصبحوا يتحكمون في هلال رمضان بثبوته و هم في جحورهم، أو يخفونه وهو في كبد السماء إتباعا لوحي مرسوم، وتتوصل بذلك إلى بسط نفوذها على هذا الركن وتقطع العلاقة بين الجزائر والعالم الإسلامي، وتحاول من جديد أن تكون إسلاما جزائريا، بعد أن أخفقت التجارب القديمة)[6] وبذلك اجتهدت فرنسا في تكوين طائفة منهم وعملت على تفريغهم من معاني الإسلام وقيمه، وقتل الكرامة الدينية في نفوسهم، وأطلقت عليهم رجال الدين وسلمت لهم المساجد وقلدتهم الوظائف الدينية، التي لا يراعى فيها أي شرط غير شرط الولاء والإذعان المطلق لسلطة الاستعمار، ذلك لإيهام الأمة بأن شؤون المسلمين أصبحت في يد رجال الدين، وعن تكوين تلك الفئة يقول الإبراهيمي: (ونعتقد أيضا أن هذه الحكومة المسيحية مصرة على باطل أبطلته الأديان والقوانين والمدنيات والعوائد، وأنها عجزت عن دينها المسيحي أن تحرره من احتكار روما، وعن دين موسى أن تنتزعه من رجال الأحبار، فجاءت إلى ديننا تتحكم فيه وتلص أوقاته، وتسخر رجاله الضعفاء لمصالحها، وتجعل من معابده ميادين لاحتفالتها بالنصر والكسر، ومن أئمته ألسنة تجهر بالدعاء لها، وما دعاء الظالمين إلا في ظلال... نعتقد أن كل ما قررته هذه الحكومة المسيحية، وكل ما تقرره في شؤون ديننا باطل منقوض دينا وعقلا وقانونا حتى تسمية الأئمة والمؤذنين فهي باطلة، وطلب هذا الوظائف من هذه الحكومة باطل، لأن شرط نصب الإمام أن يكون من حكومة مسلمة...و إن بقاء الوظائف الدينية في يدها هو أصل هذا البلاء، لا ينقطع حتى ينزع حبل الدين من تلك اليد ويوضع في يد أهله)[7].

سلط الإبراهيمي هجوما لاذعا بكل قوة على أولائك الأئمة الذين اصطادتهم الحكومة بطعم مادي بخس دراهم معدودات، وباعوا لها مقابل ذلك ذممهم وانتهكوا حرمة المحراب والمنبر بفضائحهم المخزية و فيهم يقول : "ولو أنهم –عافاهم الله-" فهو إن ما

يتقاضونه من الحكومة هو غلة وقف أجدادهم لما جعلوه علة لعقوق أجدادهم، ولعلموا أي جليل أعطوا عن العوض، وأي خسيس أخذوا عن العرض، فإن هذه الحكومة إنما تشتري بذلك منهم هممهم و ذممهم والخضوع لها والخوف منها والتصريف في مطالبها)[8] وقد استند الكاتب على فتوى أصدرتها جمعية العلماء المسلمين بأن الصلاة خلفهم باطلة لأنهم باعوا ذممهم للاستعمار، و خرجوا عن أمر ربهم و لذلك فضحهم الابراهيمي يقول: (لما عاتوا عن أمر ربهم وتشددوا متمسكين بمناصبهم إبقاء على حرمة الخبزة رميناهم بالآبدة...وهي أن الصلاة خلفهم باطلة...لأن إمامتهم باطلة لأنهم جواسيس[9]) ذلك ما كان الاستعمار يرجوه من اطمئنان الناس لهذه الهيئة الدينية التي نصبها لتكون ستارا يتخفى تحت غطائه و وسيلة لإفساد الدين والعباد، وإن أبرز شخصية مثلت انحراف رجال الدين شخصية (محمد العاصمي)* الذي عينه الاستعمار مفتي الجامع الحنفي بالجزائر، وقد مثلت هذه الشخصية رمزا لكل المعاني الاستعمارية الخبيثة الحاقدة الذي صار هذا الاسم علما عليها ومرتبطا ارتباط وثيقا بفرنسا مدافعا عنها في كل القضايا كارتباط اللفظ بمدلوله الوضعي عند اللغويين [10] وللحكومة في كل مذهب تذهبه عاصمي وكل هؤلاء عاصمي (يقصد بذلك الهيئة الدينية التي نصبها الاستعمار) في حرفته ...وكلهم لا يعرفون معنى للعيب إذا امتلأ الجيب، ولا يأبه للعار وإن دخل النار، والعاصمي الزرد* مشعوذ يأكل الدنيا بالدين، ويظل عن سبيل المهتدين، وجل دين الله أن يعلق بهؤلاء السماعين للكذب أكّالين للسحت[11] وفي مثل هذا التصوير الفوتوغرافي وبأسلوب ساخر مرير يصور الإبراهيمي انقياد العاصمي وأتباعه وقد أصبح آلة صماء مجردة من العقل مسلوب الإرادة معدوم الإحساس يقول في وصفه: (في تلك الإدارة نفسها معمل لصنع الرجال على أشكال ومقادير مخصوصة لا يشترط في المادة الخام إلا أن تكون ذات قابلية و استعداد وطوع وانقياد، في المعمل جهاز كيماوي من خصائصه إحالة الأعيان معاني، والمعاني أعيان، فيجعل الرجال مكائد والمكائد رجالا، وفي هذا المعمل صنع العاصمي وامتحن...وأصبح بعد استكمال التجربة والاختبار موظفا في إحدى هذه الوظائف المدخرة في وقت الحاجة، ولمن تدعو إليهم الحاجة، وهي الإفتاء بالجزائر، أي مفتي الجامع الحنفي بالجزائر إذ لم يبق من الحنفية فيها إلا جامع هذه النسبة، ورأى أن الجامع يجمع ولا يفرق فوضع فيه رجالا –أيا كان- ليفرق به ولا يجمع، وحفظ به هذه الوظيفة لهذه الغاية)[12].

إن جل ما كتبه الإبراهيمي في هذا المجال لينبئ ويكشف عن عناصر تشكيل منهجه السياسي وخطته في الكتابة وتشاكل عناصر موضوعاته والتي يبين من خلالها حقيقة الاستعمار وأهدافه والإبانة عن وسائله وأساليبه، وفضح أعوانه ورجاله والتصدي لشبهاته ومزاعمه وعلى ذلك سار ، في مواجهة الاستعمار وفي شأن قضية (فصل الدين عن الحكومة) إلى كشف الغطاء عن الوجه الحقيقي الذي يخفيه وراء سياسته وقوانينه، ورفع الستار عن الدافع الأساسي الذي حدا بالدولة الفرنسية إلى احتلال الجزائر، و قد تبيّن له من خلال القرائن التاريخية أن الروح الصليبية التي تخفيها الكنيسة الكاثوليكية و التي دفعت القادة الفرنسيين وبكل شراسة لتسليط غزوها و الاستيلاء على الجزائر و ممتلكاتها و أوقافها، تلك النزعة الصليبية الحاقدة دفعتها إلى حمل معاول هدم المساجد والأوقاف وتدنيس المقدسات و السيطرة عليها وتحويل كبريات المساجد إلى كنائس، مما جعل الإبراهيمي يصرح بذلك قائلا:(جاء الاستعمار الفرنسي الدنس للجزائر يحمل السيف و الصليب ذلك للتمكن وهذا للتّمكين، فملك الأرض واستعبد الرقاب، وفرض الجزية وسخر العقول والأبدان، ولو وقف عند حدود الدنياويات لقلنا تلك هي طبيعة الاستعمار الجائع تدفعه الشهوات إلى اللذات...ولكنه كان استعمارا ماديا مسيحيا عاريا وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم، وانتهك حرماته من أول يوم، وتدخل في شعائره بالتضييق والتشديد، كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشعّ بالحقد وتفور بالانتقام)[13] فالأهداف التي كان الاستعمار يعمل على تحقيقها من تلك السيطرة على الشؤون الإسلامية في الجزائر تدور جميعها في مدار واحد ينتهي مع مرور الزمن إلى القضاء التام على الإسلام وترحيله من الجزائر، فحارب الإيمان بالإلحاد و أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية وعبث بحرمة المساجد بالرذائل والتعليم بإفشاء الأميّة والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير[14] كان هدف الاستعمار من ذلك وأد هذه المقومات والقضاء عليها، ويرى الكاتب أن مقاومته لم تعد أسلوبا مجدايقنع من خلاله الفرنسين ، وإنما أصبحت غاية وهدفا، ولذلك لم يدع سبيلا في كشف عوراته، وفضح أعماله وتعريتها من كل القيم الإنسانية التي يدّعيها، وفضح باطله وخداعه و تمويهاته والتنديد بأساليبه وطبائعه (...فالاستعمار يجهل سنن الله في الأمم والطبائع، ولو فقهها لأنصف الأمم في نفسه فاستراح وأراح، ولعل أن عين المظلوم كسيف الاستعمار كلتاهما يقظة)[15] هذه هي حقيقة الاستعمار وما كان يبيّته من أهداف ذلك ما دفع الإبراهيمي ساعيا إلى بيانها ليوضح جانبا هاما في قضية فصل

الدين عن الحكومة وإصراره على بقاء الشؤون الإسلامية في قبضته معتمدا على مجموعة من الوسائل والأساليب التمويهية كأدوات يتخفى تحت غطائها، ويتخذها ذرائع اقتناع مسمومة ومعلولة مثلها مثل السراب الخادع، ذلك عندما علق على خطبة أحد الولاة الفرنسيين (في عين صالح) وقد امتنّ على الجزائر بأن فرنسا جاءت بالجند، والراهب، والمعلم، والطبيب و وضح عمل الراهب الاستعماري، وكيف" افسد التوحيد بالتثليث فأخرج الناس من جادة دينهم، وعن فعل المعلم الاستعماري كيف شوه التاريخ في العقل وقلل من شأن السلف في أعين المتعلمين و استنزلهم عن لغتهم و أدبهم، و علمهم تعليما ناقصا، و عن الطبيب الاستعماري، أنه جاء يداوي علة بعلل ويجرب معلوماته في مرضاه، كما يجربها في الأرانب يقول:(ونظر الناس بعد مرور مئة وعشرين سنة على هذه الرحمات الثلاث المرسلة إلى الجزائر من سماء فرنسا، فإذا تسع و تسعون في المائة من أبناء الأمة الجزائرية أميّون...فقدوا قديمهم ببركة الاستعمار، ولم يجدوا الجديد، و إذا الطبّ الاستعماري لم يقض على المرض وإنما قضى على الصحة، فأربعمائة ألف من مجموع الأمة مسلولون، والباقون معلولون، وعشرات الآلاف من الأجنة تسقط لفقد العناية، ومثلها في الصبية لسوء التغذية، وإذا الراهب المبشر ذئب في فلاة يتربص اليتيم لينصر الأبناء و المجاعات ليفتتن الآباء، فكان من وصايا المسيح أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب، ولا يكسو الظهر إلا بالتجريد من الدين)"[16] لكن الإبراهيمي بوعيه الديني برأ المسيح من هذه المفارقات المؤثرة بتكريمه وتبرئته من هذا الشر كله والمسند إليه قائلا : (حاش لدين المسيح عليه السلام وكلمته التي ألقاها إلى مريم أن يكون هذا طريقه إلى النفوس...إن المسيح كان عدوا للظلم، و أن الاستعمار أقبح باطل، وأشنع ظالم على وجه الأرض) [17] وبعد أن تحدث الإبراهيمي و بإسهاب عن أساليب الاستعمار الوحشية في حربه على الإسلام والمسلمين يخلص إلى القول وهل في باب النكاية بالإسلام و أهله أبلغ من هذا؟... "وهل هو إلا مقدمة لمحوه وترحيله من هذا الوطن؟"[18] كلها وسائل تضليلية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، اعتمدها الاستعمار البغيض ليحقق بها أهدافه ويكسب من ورائها ثقة الأهالي ، لما لها من أهمية في حياة الأمة، تصدى لها الإبراهيمي وبكل جرأة فكشف عن المستور من ورائها، ولم يترك مجالا من مجالات التضليل والدعاية المغرية من طرف الاستعمار إلا وفضحها حتى يكشف بذلك عن النوايا المبيتة و المفارقات العجيبة المتعمدة بين القول والفعل، تلك هي ظاهرة من الظواهر الأسلوبية التي ميزت كتاباته بصدق القول وجرأة

التوصيل وشجاعة الرأي وقوة الكلمة ، سمة بارزة سيطرت على فكره وسالت حبرا في كتاباته، وخاصة المقالات ذات الطابع الاجتماعي السياسي ، والتي تناولت كبريات القضايا التي أرقته، لأن رياح الإدماج والتنصير والمسخ والفسخ تهب من هذا الباب ، وتكاد تعصف بالأمة لولا أنها لاقت إعصارا وكأنه يقول للاستعمار : **"إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا"** وفي هذا الباب يقول **'الإبراهيمي'** : (كتبنا في هذه القضية ما إن مداده ليكون عدة غدران، وما إن صحائفه لتغطي بضعة جدران)[19] اعتمد الإبراهيمي في معالجة هذه القضية الحساسة منهجا مميزا يتسم بسمات بارزة منها:

الإصرار والتحدي: لقد دخل هذه المعركة بيقين ومبدأ ثابت بأنه كان يدافع عن حق فلا بد أن ينتصر فيه، معتقدا أنه يحمي حمى الإسلام ويذود عن حياضه، ويفي بعهد الله الذي أخذه على عباده في حفظ الدين من المبطلين[20] ولم تلن له قناة، ولم يتزحزح قيد أنملة عن مطالبه و لم يغير فيها رأيا ولا يساومه فيها الاستعمار على أنصاف الحلول، بل ظل ثابتا لا يكل ولا يمل، لأن القضية عنده أسما أن تطرح في سوق المساومات، وهي جزء من صميم دينه، أما نحن يقول:(فما زلنا في هذه القضية على مذهبنا القديم لم يتغير فيها لنا رأي، ولم يتجدد لنا فيها نظر...قضية دينية إلهية تضفي على كل ملابساتها لبوس الدين الذي لا تغيره الأزمنة، ولا تؤثر فيه الأحداث، ولا تتجدد فيه النظريات)[21] رغم أنه كان يدرك خطورة هذه القضية من جهة ومن جهة ثانية خطورة تمسك الإدارة الفرنسية بتسيير الشؤون الإسلامية لحاجة في نفسها، فكان يحذو حذوها في معاملتها له، فهي تصر على عدم الفصل، وهو يصر على المطالبة، لذلك نراه ينتقل معها من ميدان إلى ميدان مقرا على مطالبه و مستعدا لأن يفني عمره في سبيل ذلك حتى يعود الحق إلى أهله فلا يثنيه تهديد ولا وعيد ولا مراوغة ولا مطاولة، إلى أن يفصل في القضية.

الشجاعة والصراحة: كان لهذه القضية الدينية الحساسة أثر عميق في مواقف الإبراهيمي التي تميزت في كثير من الأحيان بالشجاعة النادرة والجرأة في إبداء الرأي و قول الحق رغم ما كان يهدده من قوانين استعمارية جائرة تقود إلى السجن والتغريم والملاحقة يقول:(قلنا لها إن ابتلاعها لأوقافنا الدينية والخيرية ظلم، والظلم لا يدوم، و لصوصية واللصوصية لا تتأتى إلا في الغفلة أو النوم أو الظلام، فأما الانتباه واليقظة والنور فافتراس تبرره القوة والعتو)[22] ولعل أروع مثل ضربه في شجاعة الرأي ذلك الموقف في إصدار فتوى بطلان الصلاة وراء الأئمة الذين عينتهم الحكومة الفرنسية ويرى ذلك حق لا مجال للشك فيه والسكوت عن ذلك تعطيل لشرع الله، يقول:(بقارعة من عنده جزاء

على كتمان ذلك الحق و هو أن تولي الإمام من حاكم مسيحي باطل)[23] و من مواقف الكاتب الشجاعة و الصريحة مجاهرته بتأييد الثورة و مباركتها، و دعوة الشعب الجزائري إلى مساندتها و الشعوب العربية و قادتها على مناصرتها، حيث توالت بياناته المؤيدة للثورة و المساندة لها، و كانت الثورة آنذاك في أوهن مراحلها و أصعب فتراتها و في أمس الحاجة إلى شخصية أو هيئة ذات مصدقيه لدى الشعب الجزائري لتزكيها أمامهم، فكانت تلك البيانات الإبراهيمية روحا نفخها الله عزوجل في جسم الثورة، و لم تكن تلك البيانات في أيامها الأولى عادية بل اعتبرها فتوة دينية شرعية بوجوب النفور إلى الجهاد بالمال والنفس، و يؤكد الصبغة الدينية لتلك البيانات ما ذكره ضابط المخابرات الفرنسية(جاك كاري) في كتابه جمعية علماء الجزائر (ص 27) من أن الإمام الإبراهيمي طلب في 12 نوفمبر 1954 م من شيخ الجامع الأزهر أن يؤذن في المسلمين بالجهاد نصرة للثورة الجزائرية ودعما لها، وهل الآذان بالجهاد إلا فتوى دينية لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد[25] ذلك إيمانا منه بأن استرجاع الجزائر لا يكون إلا بقوة السلاح، وعبّر عن تلك المواقف الجريئة في مقال له بعنوان (الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي) المنشور في العدد 37 من جريدة البصائر الصادر بتاريخ 02 أكتوبر 1936 والذي جاء فيه (...إن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا[26] وقد عبر عن هذا الإيمان في باريس على مسمع ومرأى من الفرنسيين حيث ألقى خطابا في وفود الدول العربية والإسلامية سنة 1951 جاء فيه (...و إن وراءهم لشبابا سينطق يوم يسكتون، وسيتكلم يوم يخرس الاستعمار ... و إن بعد اللسان لخطيبا صامتا وهو السنان، وإننا لرجال، وإننا لأبناء رجال، وإننا لأحفاد رجال، و إن فينا لقطرات من دماء أولئك الجدود وإن فينا لبقايا مدخرة سيسجلها الله إلى حين)[27].

و هكذا كان الإبراهيمي كالشعلة التي بنت في الجزائر ثورتها الثقافية بقوة الكلمة و رهافة الحس الوطني و شجاعة الرأي، حتى تمكن الشعب الجزائري من استقلاله عام 1962 بعد 130 سنة من الاستلاب كما مكنته من استرجاع هويته الإسلامية، فالخطاب عند الإبراهيمي اتسم بسمات خاصة مثلت رؤية ثورية خاصة جعلت فكره يسمو مفضيا إلى كلية شاملة يرى بها المشكلات و يقرأ بها الواقع و يرصد بها الأحداث.

مراجع و إحالات :

1_ جريدة البصائر، عدد 151 سنة 1951 ، ص 1 . ينظر مجلة الثقافة ، الجزائر، عدد 87 ، شعبان رمضان 1405 هـ مايو، يونيو 1985 ، ص 223.

2_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع و تقديم نجله ، د/ أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ط 1 ،1997، 3 / 26

3_ مجلة الثقافة ، عدد 87 ، شعبان رمضان 1405 هـ مايو ، يونيو 1985 ، ص 57 .

4_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 3/ 352، 353، عدد 87 ص 57.

5_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 3/ 92، 93،

6- أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 3/ 168 .

7_ نفس المصدر ، 106 ، 107 .

8_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 3/ 156 .

9_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 3/ 193 ، 194 .

* _ محمد العاصمي ، لا يكاد الباحث في مقالات الإبراهيمي يعثر على مقال يتعلق بفصل الدين عن الدولة إلا و يجد فيه اسم العاصمي ، أنظر الآثار ، 3/ 72 ، 73 ، 97 ، 105 ، 152 ، 153، 162، 342، 343، 344

10_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 3/ 104 .

*_ الزرد ، ج ، زردة و هو ماكان يروجه الاستعمار في الأوساط الشعبية باسم الدين من عادات فاسدة قصد إفساد الدين ، ظاهرة من مظاهر الشرك .

11_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 3/ 342 ، 343 .

12_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 3/ 87 ، 88 ، ينظر التقرير الحكومي العاصمي .

13_ الإبراهيمي عيون البصائر، ع 3، ينظر معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، د.محمد زرمان
منشورات جامعة باتنة ص 103، 104

14_ مجلة الثقافة عدد 87 ، ص 366 . 7

15_ د.شكري فيصل، قضايا الفكر في أثار الإبراهيمي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ينظر مجلة الثقافة ع 87، ص 108.

16،17_ مجلة الثقافة عدد 87 ، ص 181،182 .

18،19_ الإبراهيمي عيون البصائر ، ع 3 ، ص 106 ، 144 .

20_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 4/ 275 .

21_ الإبراهيمي عيون البصائر ، ع 3 ، ص 194 .

22_ د.محمد زرمان معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي ص 119، 120

23_ الإبراهيمي عيون البصائر ، ع 3 ، ص 154 .

24_ مجلة الوعي الإمام البشير الإبراهيمي، ط2، دار الوعي للنشر و التوزيع، حي محمد برانسي قطعة 85 رويبة الجزائر، ذو القعدة، ذو الحجة 1431 هـ، نوفمبر 2010 م، ع 2 ،ص 92.

25_ نفس المرجع ، ص 92 .

26- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 1/ 283 ، ينظر مجلة الوعي الإمام البشير الإبراهيمي، ص92

27_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،المرجع نفسه، ص283